المحاضـــــرة الأولى:

سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر

1.الغزو واحتلال الأرض على مراحل:

شكلت"السواحل البربرية" التي كانت تمثل في المخيال الأوروبي مصدرا للغزو وتجارة الرقيق الذي أزعجهم طيلة قرون هدفا مبكرا للاحتلال، حيث كان مؤتمر فيينا 1815 بمثابة اعلان بداية القضاء على هذه الظاهرة عسكريا، عندما نظمت حملة بريطانية هولندية بقيادة اللورد اكسموث، برفقة الأمير الهولندي فان كابلان، سنة 1816، قصفت مدينة الجزائر، التي كانت في نظرهم هي " عش القرصنة " كما استطاعت تحرير الكثير من الأسرى الأوروبيين[1].

وتوسعت الدائرة أكثر بعد مؤتمر اكس لاشابيل في جنوب ألمانيا 1818 من طرف القوى الخمسة الكبرى " انجلترا وفرنسا وروسيا و بروسيا و النمسا" ، وتم اتفاق على توقيع بروتوكول 20نوفمبر1818 جاء فيه :" اتفق المفاوضون على إلغاء القرصنة التي تمارسها الدول البربرية بطريقة فعالة ... وقد طلبوا إلى مندوبي بريطانيا و فرنسا بوصفها ممثلين للبلاطين اللذين يجب أن يكون لنفوذهما ثقل أكبر لدى هذه القرصنة التي تقلق التجارة السلمية التي ستكون له آثار تجعل الإيالات المغاربية تفكر عاجلا في نتائجه التي قد تمس وجودها نفسه"[2]

إن " الذكريات السعيدة" التي ملأت كتبنا بفعل أساطيل شقت البحار لتفرض المغارم والاتاوات، و قراصنة دخلاء (عن المجتمع الجزائري)، استحوذوا على الأسرى والأسيرات، هي في حقيقتها أمجاد مصطنعة غمرت وجداننا وكبلت عقولنا عن الخوض في تساؤل جوهري، لماذا كانت الظاهرة الاستعمارية بدايتها مبكرة من الجزائر، وليس تونس، أو المغرب الأقصى، أو ليبيا ؟

في الواقع نصادف في هذا الصدد مواقف كثيرة تحصرها خاصة في عامل الموقع ، الثروة، والدين مع أن الموقع لن نكون أحسن من المغرب الأقصى، والثروة هي متشابهة في

---

[1] - A.M.Pérrot, *Esquisse topographique et historique du royaume et de la ville*, Edition libraire Ladvocat, Paris, 1830, p, 31.

[2] -Le congrès d'Aix-la-Chapelle (1818), http/ www.Hitopedia.fr

كل الأقطار المغاربية، والدين واحد بل إن مرجعيته نجدها تتوزع في كل من تونس (الزيتونة) والمغرب الأقصى (القرويين)، فهل هناك عامل أقوى للبداية المبكرة ضد الجزائر؟

في الواقع إن الجزائر التي أقام فيها الباب العالي حكما عسكريا، على مدى ثلاثة قرون، بخلاف الايالات المغاربية الأخرى وجعلوا منها قاعدة متقدمة لهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط تنطلق منها اللصوصية البحرية جعل منها (الجزائر) في المرحلة التي استكملت فيها الدول الأوروبية نهضتها هدفا مبكرا ومباشرا لعملية الاحتلال، لما كان يعرف عندهم بـ" عش القرصنة" حيث تبنت فرنسا في عهد شارل العاشر فكرة الاحتلال المبكر للجزائر العثمانية (1830)، التي وصل الأمر إلى تبني أساطير حول خزينتها التي امتلأت بأموال "القرصنة". حيث تسنى لفرنسا احتلال مدينة الجزائر تبعها احتلال المدن الساحلية تفكيكا للوجود العثماني الذي بنى وجوده على البحر، بعدها اتجهت عملية الغزو نحو الدواخل عبر الشريط السهلي الداخي الواقع وراء سلسلة الأطلس التلي، ثم خط السهوب[3].

2. "شرعنة " الاحتلال الفرنسي للجزائر:

نظرت فلسفة الاحتلال الفرنسي للجزائر على أنه " شاغرا ترابيا" " مقهورا سلطويا " " متخلف حضاريا" " مفككا اجتماعيا" لذلك كان الاستعمار على تعدده في نظرهم آلية من شأنها أن تغير الواقع المادي والبشري القائم قبل الغزو، وذلك عبر مسار يضفي أولا الشرعية على الاحتلال بعد تبني " سودوية" العهود التاريخية الغير أوروبية التي مرت على شمال غرب افريقيا ومنها الجزائر، خاصة المرحلة الاسلامية، وما تبعها من هجرات هلالية سليمية كأحد مسببات هذا التخلف[4].

في المقابل تدفع هذه الفلسفة بالمرحلة الرومانية كمرحلة زاخرة بالعطاء الحضاري، والزخم الفكري، من خلال ابرازها في أعمال آركيولوجية مثل حفريات " ستيفن قزال"

---

[3]- أفرد الباحث المنور مروش دراسة موثقة لنشاط القرصنة في الجزائر، يرجى الرجوع إلى:

المنور مروش، القرصنة، الأساطير والواقع، ج2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

[4]- تناول الباحث الاثربولوجي اميل قوتيي الهجرات السليمية الهلالية وعدها موجات بشرية كان لها الأثر السلبي على شمال غرب افريقيا، يرجى الرجوع إلى:

Emile-Félix Gautier, *Le passé de l'Afrique du Nord*, Paris, 1942.

وكتابات تاريخية مثل كتابات " قوتيي" (Gautier)، وبالتالي يكون الاحتلال الأوروبي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين في نظرهم هو حلقة مكملة للتواجد الروماني بعد فترة فراغ حضاري حسبهم امتدت من الفتوحات الاسلامية إلى نهاية المرحلة العثمانية، ومنه "شرعنة الأسبقية في التواجد والعطاء الحضاري والتعايش مع العنصر المحلي" كانت من صميم السياسة الاستعمارية في الجزائر[5].

3. الاستعمار باعتماد الجاليات الأوربية:

من المسائل الملفتة حول الظاهرة الاستعمارية في الكتلة الجغرافية التي تتقاسمها دول المغرب العربي، أنها أخذت ألوانا مختلفة من الاستعمار، وطبعا لهذا الأمر خلفياته التاريخية، فمن المفارقات أن الجزائر كانت الدولة الوحيدة في الفضاء المغاربي، بل وحتى في فضاء العالم الاسلامي، التي تعرضت لأخطر ألوان الاستعمار وهو الاستعمار الاستيطاني، الذي بنى أبجدياته على ضرب بنية الانسان والأرض معا، ضمن أطر جعلت من الالحاق والتبعية ركيزة أساسية، كانت حجرة عثرة أمام تحقيق الجزائر لاستقلالها المبكر مقارنة بالشعوب الأخرى[6].

في المقابل نجد أن الدول المغاربية المتبقية تعرضت إلى الحماية وهي لون من ألوان الاستعمار أقل حدة ومحدود الآثار مقارنة بالاستعمار الأول، كونه يحافظ على السلطة المحلية القائمة، ويسمح لها بالإدارة والاشراف المؤسساتي ولو على نطاق محدود، ويخضع لوصاية أعلى، وبالتالي المنظومة الاستعمارية الأوروبية تعاملت بمنطق متفاوت مع دول المغرب العربي، كانت فيه الجزائر أكثر ضررا، ترتبت عنه نتائج أخطر، على صعيد السلطة وتفرعاتها والبنى الاجتماعية وتركيبتها، والحياة الاقتصادية وضوابطها.

4. اقرار مبدأ القوة العسكرية::

بُنيت سياسة الاحتلال الفرنسي للجزائر على عسكرة الفضاء، والدفع بالمزيد من الضباط والجنود قصد التحكم في المستعمرة وتطويعها، حيث بقيت هذه الظاهرة ملازمة لفترة الاحتلال، بعدما تم دعمها على مراحل بالطابور الثالث من المحليين، على

---

[5] -*Ibid.*

[6]- Charles –André Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine, la conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871*, Edition Casabah, Alger, 2005,p114.

غرار الزواف الذين شاركوا في عمليات التوسع، مثل مشاركتهم في احتلال مدينة قسنطينة سنة 1837 بقيادة الجنرال فالي[7].

كما وُظف العسكريون في المراحل الأولى كنواة اجتماعية، وزعت عبر نقاط مفصلية وفضاءات محورية ظهرت في الأبراج العسكرية، التي تحولت إلى تجمعات عمرانية للمستوطنين الأوروبيين، وبالتالي أخذت سياسة العسكرة بعد القوة الناعمة التي صادرت الثروة و محاور العيش[8]، كما كان يتم الرفع من عدد الضباط والجنود خلال المراحل التي تظهر فيها مقاومات وثورات، فقد تجاوز عدد العسكريين خلال الثورة التحريرية المليون، كما كثرت الأبراج ونقاط المراقبة، بل وتحولت الجزائر إلى فضاء مكبل بالأسلاك الشائكة بعد مد خطي موريس 1956وشال 1958.

لقد وردت بعض المقاربات الاحصائية التي تحدثت عن عدد المجندين خلال الثورة الجزائرية سنة 1960 من القرن الماضي نلخصهم في الجدول التالي[9]:

أصناف القوات	عددها
القوات البرية	50687
القوات الجوية	8000
القوات البحرية	4000
مصالح هيئة الأركان	4900
قوات الدرك والحرس المتنقل	3000

5. ضرب الجماعات الريفية والأسر الكبرى:

عاش العنصر المحلي في الجزائر قبل مرحلة الاحتلال في اطار تحالفات مع السلطة القائمة، وفي شكل قوى مخزنية تُصرف عبرها السلطة من قمة الهرم الى قاعدته، لذلك توزعت هذه القوى المخزنية جغرافيا عبر فضاءات محورية ونقاط مركزية، تبدأ بنظام الدوائر الذي يحمي المدينة مركز السلطة، ثم يتوسع نحو الأسر الكبرى والقوى المحلية،

[7] - Eugène Belancé, Hippolyte Belancé, *Nos Zouaves,Historique, organisation, faits d'armes , les régimes, vie intime*, éditeur j.Rotschild, Paris, 1888, p.23.

[8] -Enfantin, *Colonisation de l'Algérie*, libraire Bertrand, Paris, 1843,p, 123.

[9]- رمضان بورغدة، المرجع السابق، " قضية الحركى خلال الثورة الجزائرية من خلال المصادر الفرنسية » ، أعمال الملتقى الوطني الثورة الجزائرية في الكتابات التاريخية المعاصرة، منشورات كلية الآداب والحضارة الاسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، جانفي 2014، ص، 331.

مثل أسرة آل المقراني التي كانت حليف قوي للعثمانيين بالجزائر، وأسرة الحنانشة للعثمانيين بتونس، لذلك كان وعاء القوة العسكرية هو جماعات محلية تحكمها أسر متنفذة تدين بالولاء للسلطة المركزية، في المقابل تقدم لها هذه الأخيرة امتيازات مادية ومعنوية[10].

ومع موجة الاحتلال وتلاشي القوة العسكرية للعثمانيين لعدة أسباب منها عدم اندماجهم اجتماعيا في الوسط المغاربي، كان أمام السياسة الاستعمارية هدف مباشر يقوم على ضرب القوى المحلية كمفاصل اجتماعية- عسكرية يجب تفكيكها إلى وحدات مصغرة يسهل اخضاعها ومراقبتها، ما يسمح في نظرهم بسيطرة عسكرية تامة ومتكاملة الأركان[11].

بدأت هذه التجربة بالجزائر وخاصة في الشرق الجزائري مع أسر كبرى على غرار أسرة بو عكاز بن عاشور حكام فرجيوة، وأسرة بو عكاز الذواودة حكام الزاب، وأسرة آل المقراني حكام مجانة الذي اعلنوا الثورة على الاحتلال الفرنسي سنة 1871، حيث انتهى الأمر إلى تفكيك هذه الأسرة جغرافيا (النفي إلى كاليدونيا الجديدة) وتشتيتها عقاريا (مصادرة أراضيها وتوزيع بعض أسرها على فضاءات بعيدة) وهو ما سهل من الهيمنة العسكرية على فضاءاتها التي امتدت تاريخيا على برج بوعريرج، سطيف، بجاية، البويرة، المسيلة[12].

أما في الدول المجاورة على غرار تونس وليبيا والمغرب الأقصى، ونضرا لطابع الاحتلال في شكل حماية، فقد أبقى على القوى المحلية كمخازنية يحفظون الفضاءات الريفية ويديرونها. لذلك وجدنا أن العمل العسكري في لجزائر سار بشكل أفقي وذلك لطابع القوى العسكرية المحلية التي توزعت عبر جغرافية متباينة، ولم يسر عموديا. هذه المعطيات جعلت السياسة الاستعمارية تفشل على المدى الطويل في اخماد روح المقاومة

---

[10]- حول تاريخ هذه الأسر يرجى الرجوع إلى :

جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10 هـ (16م) إلى 13هـ (19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015.

[11]– أحمد سيساوي، البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث (1838-1871)، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2017، ص، 76-78.

[12]- حول انتفاضة المقراني 1871 يرجى الرجوع إلى :

Louis Rinn, *Histoire de l'insurrection de 1871 en l'Algérie*, Librairie Adolphe jourdan, Alger, 1891.

التي بقي محيطها الطبيعي هو الريف ونواتها الجماعات الريفية (هي طبيعة اجتماعية، لذلك الثورة الجزائرية انطلقت في الريف ثم انتقلت للمدينة)[13]

06. انتشار المستوطنات:

ارتبط استعمار بلدان المغرب العربي باستقدام العنصر الأوروبي، من خلال توفير له كل الخدمات ومنحه الأراضي، وتخفيض الضرائب، حيث بدأت التجمعات السكانية الأوروبية تنتشر في الفضاءات المغاربية، استهلت في الجزائر بإنشاء مراكز استيطانية مثل دالي ابراهيم (1881) والقبة (1832) وبوفاريك (1839) وعين البنيان (1845) والشراقة (1846)، وتوست هذه الحركة الاستيطانية لتشمل المدن الساحلية ، عنابة، فليب فيل، الجزائر،[14]، كما تطورت حركة المستوطنات تأثرا بالأزمات التي شهدتها أوربا عندما اضطرت مثلا الادارة الاستعمارية الى نقل سكان الألزاس واللورين إلى الجزائر بعد الحرب البروسية الفرنسية 1871[15]

إن هذه المستوطنات التي انتشرت كالفطريات تدرجت نشأتها وفق استراتيجية تم التنظير لها في المرحل الأولى للاحتلال، على غرار كتابات الأب الروحي للسانسيمونية انفونتان (Enfantin)، الذي كانت أفكاره بمثابة الهام للمشروع الاستعماري الاستيطاني في الجزائر، الذي امتد لا حقا كمشروع مكمل واستراتيجي إلى بقية بلدان المغرب العربي التي استعمرت لاحقا، حيث اعتبر الرجل أن احتلال المنطقة الواقعة بين الأطلسيين التلي والصحراوي، هي الأحسن جغرافيا، (مياه، تربة، مناخ معتدل) وبالتالي ستكون هدفا مباشرا للاحتلال على رأسها إقليم قسنطينة، الذي يعد ثروة بحد ذاتها، بحيث يسير خط الاحتلال حسب انفونتان كالتالي: 01- احتلال عسكري من قسنطينة نحو تلمسان، عبر خط داخلي. 02- احتلال مدني بين الخط الداخلي والساحل.03- تسير عملية الاحتلال المدني بعدها من الساحل نحو الداخل .04- يتم إقامة احتلال مدني في النقاط الأكثر، أمنا وخصوبة وصحة بدءا من عمالة قسنطينة، دون إهمال دور الشركات في هذه العملية، ويسير الاحتلال المدني بعدها من الشرق نحو الغرب.ثم يتم في كل نقطة

---

[13] Ahmed Henni, *La colonisation agraire et le sous –développement en Algérie*, SNED, Alger, 1982,p,36.

[14]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص، 31.

[15]-حول هذه الحرب يرجى الرجوع إلى :

L. le saint, *Histoire de la guerre entre la France et la Prusse*, Editeur Limoges, Paris, 1872, p.122-136.

احتلالها عسكريا -حسب انفونتان دائما- تجميع من حولها سكان فلاحين يكونون من الجنود أنفسهم أو من المزارعين الأوروبيين، حيث يشكلون عائلات وقرى قريبة من مراكز الاحتلال، حتى توفر لهم الأمن، كما أن ممارسة الفلاحة ستكون ممكنة والمحاصيل محمية، إضافة إلى مراعاة قرب القرى من الموانئ أو المناطق الفلاحية، مع اتصالها بالأسواق قصد التزود بالحاجيات، ويضيف الأب الروحي للسانسيمونية أنه بإنشاء عدة قرى على طريق واحد يسهل على هؤلاء الأوروبيين، تبادل غلاتهم مع بعضهم وحتى مع العرب،كما يسهل على إدارة الاحتلال تحصيل الضرائب من الأهالي انطلاقا من هذه القرى[16].

جدول بتطورعدد المستوطنين الأوربيين بالجزائر[17]

السنة	عدد المستوطنين/ نسمة	السنة	عدد المستوطنين/ نسمة
1831	600	1871	225000
1832	5341	1881	376000
1836	25000	1891	460000
1841	45000	1901	576000
1851	145000	1921	725000
1861	200.000	1931	833359

07. الشركات الفلاحية الكبرى:

إشراك أصحاب الرساميل في استعمار الفضاء المغاربي، كما عبر عنه شارل أندري جوليان(Charles-André Julien) بالاستعمار الرأسمالي[18] كانت فكرة مُبكرة طرحها الجنرال لومورسيار (Lamoricère) بالجزائر أحد ضباط المارشال بيجو (Peugeot)، وجاءت لتعطي الدعم للحكومة الفرنسية التي رأت في العملية مكلفة وتستنزف أموال كبيرة من الخزينة، لذلك سارعت إلى احتضان هذا المشروع سنة 1845 بعدما منحت لمؤسسة عرفت باسم " وحدة سيق"، مساحة معتبرة قدرت بـ 3000 هكتار في منطقة سان دونيس دو سيق (Saint-Denis-du Sig)، مقابل تكفلها بتوطين 300 عائلة أوروبية عبر هذه المساحة، وهو المشروع

[16] - Enfantin, *Colonisation de l'Algérie,* édition P. Bertrand, Paris, 1843, p.207-211, 219-220.

[17]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص، 32.

[18]–Ch.A. Julien, *op.cit*, p.436.

الذي كُرس بمرسوم ملكي، بتاريخ 03 ديسمبر 1846، وجاء ليمنح للاستعمار الرأسمالي سبلا رسمية[19].

ليتقرر تجربته مرة أخرى في ثماني بلديات ضواحي وهران، من خلال تحرير 80000 هكتار لأصحاب الرساميل مقابل تكفلهم بتوطين 5000 عائلة أوروبية عبر هذه المساحة، ولا يكون على عاتق الدولة سوى الأشغال العامة (تهيئة الأرض، والطرق وتوفير الماء...). هذه التجربة التي طبقت في بلدية واحدة هي سانت باغب دي تليلات (Saint-Barbe du Tlélat)، كان مصيرها الفشل.ونفس المصير لقيته تجربة الجنرال بيدو (Bedeau) سنة 1847، عندما حرر 37000 هكتار في عمالة قسنطينة مقابل توطين بها 170 عائلة أوروبية. وهكذا كانت المحاولات الأولى للاحتلال الرأسمالي في الجزائر قد باءت كلها بالفشل[20].

وجاءت مرحلة حكم الإمبراطور نابوليون الثالث بعد ثورة 1848،وفي إطار المنحى الليبرالي للإمبراطورية الفرنسية الثانية (1852-1870)، التي أيقن ساستها أن الاستعمار الرسمي بقوانينه التي صاحبتها القوة المفرطة، قد عجز إلى حد ما في تمتين ركائز الاحتلال في عمق الجزائر، لذلك جاء التفكير في دعمه بالمؤسسات البنكية والتجارية، التي فُتح لها باب الاستثمار في الجزائر، وهو ما يسمح أيضا بإيجاد مصادر تموين للبنوك في المستعمرات، واختبار تطور نشاطها في ما وراء البحار وهي التجربة التي انطلقت في مصر، بشكل موازي من خلال شركة قناة السويس[21].

باشر نابوليون الثالث في توزيع أراضي واسعة على الشركات الخاصة بعد خطابه سنة 1852 مؤكدا فيه أنه " لدينا مقابل مارسيليا مملكة واسعة تشبه فرنسا"[22]، حيث حصلت " المؤسسة السويسرية" (La société genevoise) التي تعود للمدعو سوتي دو بوروقار (M.Sautter de Beauregard) ورجال أعمال سويسريين سنة 1853 على مساحة 20000 هكتار بسهول سطيف، كما جرى الاتفاق على تشييدها للمستوطنات[23]، وفي سنة 1865

---

[19]-René Passeron « Les grandes sociétés et la colonisation dans l'Afrique du nord » centenaire de l'Algérie, comité de l'Afrique française, congrès de la colonisation rural, Alger,26-29, mai 1930, 2e partie, les problèmes économiques et sociaux, Ancienne imprimerie Victor Heitz, Alger, p.34.

[20]-*Ibid*.

[21]- H. Bonin, *op.cit*, p.210.

[22] - R. Passeron, *op.cit,* p.34.

[23] - من القرى التي شيدتها المؤسسة السويسرية عين ارنات (09 كلم غرب سطيف).

Ch.A. Julien, *op.cit*, p.407.

وزع على شركة تدعى " آبرا و دو لا ماكتا" (L'Habra et de la Macta) مساحة 25000 هكتار، مقابل تكفلها بتشييد سد "بيريقو" (Perrégaux) والقيام بأشغال عامة أخرى، وهكذا دخلت الجزائر في عهد نابوليون الثالث مرحلة مهمة كان فيها لأصحاب الرساميل والشركات دور في استعمار الجزائر[24].

إنه بعد اجتماع سنة 1864 الذي جمع كل من بولا طالابو (Paulin Talabot) المدير العام لشركة السكة الحديدية بمعية الإداريين ادوارد بلوت (Edouard Blount)، اكطاف دينيار (Octave Deniére)، ادوارد هانتش (Edouard Hentsch)، وشخصيات على صلة بالقرض العقاري الفرنسي، تمثلت في المدير لوي فريمي(Louis Frémy)، ونائبه ارنست لوفي (Ernest Leviez) وسوبايرا (Soubeyran)، وتيودور فارنس (Théodore Vernes) صاحبا بنك وملاك عقاريين بالجزائر، حيث توج هذا الاجتماع بوضع أرضية لبعث شركة استثمارية فلاحية -تجارية بالجزائر[25].

وبتاريخ 18 ماي عام 1865 تم توقيع اتفاقية بين وزير الحربية والسيد "فريمي " (M.Frémy) مسؤول القرض العقاري الفرنسي، والسيد " بولا طالابو" (Paulin Talabot)، المدير العام لشركة السكة الحديدية (كممثلين للمؤسسة الجزائرية العامة الناشئة حيث كان لهم توكيل برساميل، وفتح قروض لكل العمليات الفلاحية، والصناعية والتجارية بالجزائر)، و تضمن نص الاتفاق ثلاث إجراءات أساسية[26] :

1.تتشكل **المؤسسة الجزائرية العامة** بقرار من الحكومة، وبرأسمال يصل إلى 100 مليون فرنك في مدة ستة سنوات، تستغل فيها المبالغ لانجاز الأشغال والعمليات ذات المنفعة العامة، في الجزائر وفق برنامج يكون بقرار من الحكومة كل سنة.
2. يكون أيضا للمؤسسة الجزائرية العامة الاختيار في انجاز أشغال عامة أخرى.
3.تتعهد الدولة للمؤسسة ببيع 100.000 هكتار[27] من الأراضي الفلاحية الحكومية، مقابل أن تدفع الشركة 01 فرنك عن كل هكتار في كل عملية حيازة لمدة خمسين سنة[28].

---

[24] - R. Passeron, *op.cit*, p.34.
[25]- *Ibid*, p.212.
R. Passeron, *op.cit*, p.50.
[27] - عملية البيع تمت بعد توقيع نابوليون في 01 سبتمبر 1869، على مرسوم يصادق فيه على عقود بيع مساحة 100000 هكتار للمؤسسة الجزائرية العامة.
Correspondance du 22 septembre 1869 au maréchal au sujet de l'approbation de vente de 100000h de terres faite à la société générale algérienne. FR ANOM, 3L/ 32.

بعد هذا الاتفاق تم ترسيم ظهور المؤسسة الجزائرية العامة بتاريخ 15 أكتوبر 1866 التي وضعت قانونها الأساسي[29]، متخذتا من باريس مقرا لها (13شارع فوف دي كابيسين) وتولى رئاستها "فريمي " (M.Frémy) في 10 نوفمبر 1868 ، وفي الجزائر كانت عين رقادة[30] مقرها المركزي لمصلحة الاستغلال التي كانت تتولى كل عمليات إدارة أراضي المؤسسة[31]، وهي المصلحة التي وضع على رأسها ارنست كارم (Eernest Carme)[32].

08 . ضرب الهوية الثقافية والطرائق التربوية:

عمل الاستعمار في الجزائر على تفكيك الشعور الوجداني بانتمائه للعالم الاسلامي، وحصره في جماعات أهلية مسلمة تتشعب اثنيتها بين البربر والعرب، اللذين يختلف تاريخهما وعاداتهما، وبالتالي حاول تفكيك المنظومة الثقافية من خلال تفكيك النسيج الاجتماعي. لقد جر الاستعمار معه مفهوم الحدود على الطريقة الحديثة، وهو ما فعل من مسألة " الرقابة الفكرية العابرة للحدود" وأرسى ثقافة الدولة الترابية التي عجلت بتحريك الشعور القومي، لذلك أصبحنا نتحدث عن انتماءات قطرية للعلماء، منهم الجزائري[33].

إنه بهرمية اجتماعية تمييزية، وبخلايا استعمارية يغذيها المكون الأوروبي نتجت دورة ثقافية يتدفق فعلها فقط من الحاكم والمستوطن دون "الأهلي المسلم" الذي غيب عمدا عن الفعل الثقافي، بل حول إلى رأسمال بشري يتم توظيفه في الحقول الزراعية وأعمال الصخرة، فيما فئة قليلة تم تعليمها قصد دمجها ثقافيا مع المجتمعات الأوروبية، إلى جانب ايهامها بشرعنة الاحتلال العسكري[34].

---

[28]- *Compagnie algérienne, assemblée générale du 27 décembre 1877, communication des des fondateurs, rapport des commissaires, vérifications de l'apport*. FR ANOM, 3L/ 30.

[29] - حول هذا القانون يرجى الرجوع إلى:

La compagnie algérienne, *projet de statuts.* FR ANOM, 3L/ 30.

[30] - تقع عين رقادة على طريق قسنطينة قالمة، بين مدينتي عين عبيد ووادي الزناتي ، وحول تاريخها يرجى الرجوع إلى:

FR ANOM, 3L/ 29.

[31]-*Assemblée générale des actionnaires, compte rendu au nom du conseil d'administration*

de la Société générale algérienne, exercice de 1884. FR ANOM, 3L/ 30.

[32]- *Assemblée général du 27 décembre 1877.* FR ANOM, 3L/ 30.

[33]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص، 48.

[34]- المرجع نفسه.

هذا وعمدت المدرسة الاستعمارية على تعطيل الشريان الثقافي الأفقي الرابط بين الجزائر والقرويين، وضولا إلى الزيتونة، الأزهر، مكة والمدينة، واستبداله بشريان عمودي يربطها بالعواصم الأوروبية، في عملية كانت تسعى خاصة إلى انتاج فئات مكبلة فكريا، وقد يتعاطى بعضها الدين بتوابل الدروشة. مقابل ذلك تمت عملية تحطيم ممنهجة للحواضر العلمية التي لطالما كانت محجا لطلاب العلم والعلماء، على غرار قسنطينة، عنابة، التي تم افراغها من رصيدها التاريخي وتحويلها إلى حواضر استيطانية[35].

[35]– المرجع السابق.